تبعات الغزو الروسي لأوكرانيا على المشهد السوري

(قراءة أولية)

باسل حفار

مدير مركز إدراك للدراسات

آذار/مارس 2022

IDRAK
FOR STUDIES & CONSULTATIONS • للدراسات والاستشارات

www.idraksy.net

فهرس

ملخص تنفيذي **3**

مدخل **4**

سيناريوهات أساسية في المرحلة الحالية من الأزمة الأوكرانية **5**

انتصار عسكري وليس سياسي 5

انتصار روسي حقيقي 6

إنكسار روسيا وتراجعها 7

من يستفيد من تراجع روسيا في سوريا ؟ **8**

آثار مباشرة قريبة **9**

آثار استراتيجية محتملة **11**

الروس سيكونون أكثر عناداً 11

الإسرائيليون في موقف صعب 11

حسابات متضاربة للفاعل العربي (الإمارات والسعودية والجزائر والعراق) 12

خاتمة **14**

ملخص تنفيذي

- من المبكر حالياً الحديث عن تبعات محددة لحدث بحجم الغزو الروسي لأوكرانيا على سوريا، ومع ذلك هناك الكثير مما يمكن مناقشته والتنبؤ به بخصوص العلاقة بين ما يجري في أوكرانيا وما يمكن أنّ يحدث في سوريا.
- حتى الآن، تشير المعطيات إلى أنّ تثبيت الوضع الراهن في سوريا هو التوجه الأكثر تماشياً مع مسار الأحداث في هذه المرحلة من الأزمة الأوكرانية، وهو بطبيعة الحال السيناريو الأكثر ترجيحاً على المدى القريب والمتوسط في سوريا منذ فترة، ومع صعوبة التنبؤ بما تحمله المرحلة التالية من تطورات على جبهة أوكرانيا فإنّ فهم التبعات المترتبة على الحالة السورية على المدى البعيد أمر متعذر بدرجة كبيرة.
- أحد أهم أوجه الربط بين المشهدين في أوكرانيا وسوريا يتعلق بالفاعلين الرئيسيين في كل منهما، إذ يتشارك الفاعلية في كلا المشهدين عدد من القوى الدولية في مقدمتها روسيا والولايات المتحدة، وإن اختلفت طبيعة وأدوار بعض هؤلاء الفاعلين فإن ديناميكيات الصراع في أوكرانيا لابد أن تمتد إلى سوريا بدرجة ما، أما الوجه الآخر للربط بين الحالتين فيتلخص برغبة روسيا في كلتا الحالتين بفرض قواعد جديدة للتعامل مع الغرب بشكل عام وحلف الناتو على وجه التحديد.
- هذا التشابه في الفاعلين، والانقسام الذي يشهده العالم اليوم بفعل الحرب في أوكرانيا ينعكس بدوره على الفاعلين السوريين الذين لا يمكن أن ينأوا بأنفسهم طويلاً عن ما يجري في أوكرانيا، وفي هذا السياق كان النظام في سوريا الطرف الأكثر حماسة واندفاعاً لإظهار اصطفافه إلى جانب راعيه الروسي، ولم يفت رموزَه والناطقين باسمه أن يركزوا - وهم يعلنون تخندقهم الكامل إلى جانب روسيا - على الإشارة إلى ندية دورهم ، عبر الادعاء بأنّ الروس لم يقدموا على الحرب إلا بعد استشارتهم أو أخذ إذنهم وإطلاعهم على مجريات الأمور، بينما لم تجد المعارضة السورية على المستويين الرسمي أو الشعبي غضاضة في إظهار موقفها المستنكر لغزو روسيا لأوكرانيا والداعي لاتخاذ موقف دولي من منها، أما قوات سوريا الديمقراطية SDF فقد آثرت الصمت حتى الآن رغم أنها لطالما وصفت بالحليف الموثوق للولايات المتحدة، بينما صدرت بعض التصريحات من مسؤولين في PKK تقف إلى جانب روسيا.
- يمكن ملاحظة تبعات أخرى للحرب الأوكرانية على المشهد السوري في هذا الوقت المبكر مثل نقص القمح والسكر وبعض المواد الأساسية الأخرى، وهو ما يحذو بكل طرف من أطراف النزاع في سوريا للبحث في خياراته لتجاوز النقص الذي يواجهه، ويبدو أنّ النظام هو الأكثر تضرراً بسبب علاقته بروسيا و اصطفافه الحادّ إلى جانبها، وكونه مشمول أصلاً بعدد من العقوبات الأوروبية والأمريكية التي تضيّق خياراته لتجاوز الأزمة.
- تبعات أخرى يمكن التنبؤ بها على المدى القريب والمتوسط فيما يتعلق بوضع النظام، منها تعطل مسارات النظام في الالتفاف على العقوبات المفروضة عليه، التي كان معظمها يمر عبر روسيا وأذرعها أو وكلائها حول العالم، وفي تعطل مشاريع اقتصادية وأخرى للتطبيع مع النظام بسبب الشراكة الروسية مثل مشروع الغاز العربي الذي تشارك فيه شركة غازبروم الروسية، وغالباً تجميد مبادرات التطبيع السياسي مع النظام أو التردد بالمضي بها قدماً ، بعد أن اصطف بضراوة إلى جانب روسيا التي يفرض الغرب عليها وعلى وكلائها تضييقاً وعزلة اقتصادية وسياسية شديدين.
- أما بالنسبة لمستقبل سوريا فإن الأزمة الأوكرانية، أبرزت تبعية النظام السوري لروسيا أكثر من أي وقت مضى وهو ما سيجعل روسيا أكثر عناداً وإصراراً على رؤيتها الخاصة، وأكثر رفضاً لأي حل سياسي شامل في سوريا.

مدخل

تلتقي الحالة السورية والأوكرانية برغبة روسيا بفرض قواعد جديدة للتعامل مع الغرب بشكل عام وحلف الناتو على وجه التحديد، بينما تتباينان في كل شيء تقريباً، من الموقع الجغرافي إلى الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية إلى التركيبة السكانية والمجتمعية والمكانة الدولية، مع ذلك فإن تبعات الأزمة الأوكرانية لابد أنْ تلقي بظلالها على المشهد السوري بطريقة ما، لأنّ كلا الأزمتين تشتركان بفاعلين رئيسيين، سينعكس صدامهم أو إعادة تموضعهم في أزمة أوكرانيا على الوضع في سوريا، وهذا يحتم علينا الوقوف على تفاصيل المشهد الأوكراني وفهمه، ولذلك تستطرد هذه الورقة في توصيف الوضع الراهن وتحليله في أوكرانيا قبل مناقشة تبعات هذه الأزمة على المشهد السوري في المديين القريب والبعيد.

وقبل الخوض في التفاصيل من المهم أنّ نستحضر حقيقة مزعجة: سوريا ليست على الأجندة الإقليمية أو الدولية منذ فترة، وبالتالي، حالياً لا أحد يميل إلى الاستثمار في المشهد السوري، وعلى العكس تماماً فإن الموقف العام يميل إلى تجميد الوضع في سوريا، وتبعات الأزمة الأوكرانية التي يمكن استشفافها -حتى الآن- على صعيد سوريا، كلها تصب في هذا المآل، أي "تثبيت الوضع الراهن"، وهو السيناريو المتبع منذ أكثر من 23 شهراً في المسار السوري، حيث يراوح السوريون في مربع "الاشتباك المقيد" الذي تبلور فعلياً بعد معركة "درع الربيع" (آذار/مارس 2020)[1].

ومن المهم أنّ لا يغيب عن تفكيرنا أن من المبكر في الأيام الأولى للحرب الروسية الأوكرانية تحديد التبعات المترتبة عليها بدقة، لأنّ تبعاتها بشكل عام لا تزال ضبابية، ولكن المعطيات الأولية حتى الآن تشير إلى أنّ أوكرانيا قد خسرت مساحات واسعة من أراضيها، ويبدو أنّ عاصمتها كييف على وشك أن تسقط أيضاً بيد الروس، وروسيا بالمقابل في وضع لا تحسد عليه أبداً، حيث تعاني حصاراً وتضييقاً شديدين على كافة المستويات، وقد تكون على وشك أن تغوص في مستنقع استنزاف سحيق.

أيضاً يجب أن نكون مدركين جيداً أنه وبالرغم من أنّ الحرب على أوكرانيا بين الغرب وروسيا هي حرب صفرية، -وروسيا غالباً تتجه للفوز بها عسكرياً-، إلا أنّ روسيا وفيما يخص الغاية من هذه الحرب والدوافع الحقيقية لخوضها من الأصل فهي بحاجة للتفاوض وليس التغلب في الحرب، صحيح أنّ بوتين كان قد وعد شعبه بالنصر وهدد مناوئيه بالدمار، إلا أنه ومنذ البداية كان واضحاً ودقيقاً في تحديد الدافع وراء شن هذه الحرب حين صرّح بأنّ روسيا لم يكن أمامها من خيار سوى غزو أوكرانيا[2]، وهنا يمكن تلخيص مطالب بوتين لإنهاء الأزمة: بأنّ يقدم الغرب تعهداً بعدم قبول أوكرانيا أو جورجيا ومولدوفا أعضاءً في حلف "الناتو" أبداً، وأنّ ينسحب الناتو من بلدان المواجهة مثل بولندا ورومانيا وبلغاريا، التي كانت في السابق ضمن حلف وارسو، وأنّ تعلن كييف الحكم الذاتي في منطقة دونباس وتتخلى عن المطالبة بشبه جزيرة القرم (كجزء مما يسمى باتفاقات مينسك). وأن تُحد عملياتُ نشر صواريخ أمريكية جديدة متوسطة المدى في شرق أوروبا وجنوبها، وأن يُعاد تصميم "البنية الأمنية" في أوروبا، لترسيخ نفوذ روسيا وتوسيع نطاقها الجيوسياسي.

[1] السيناريوهات والمآلات المحتملة للمشهد السوري: إصدار حزيران/يونيو 2021 idrak - إدراك

[2] هل تخسر روسيا معركتها في أوكرانيا idrak - إدراك

سيناريوهات أساسية في المرحلة الحالية من الأزمة الأوكرانية

على المدى البعيد والمتوسط، يتباين أثر الأزمة الأوكرانية على الحالة السورية كثيراً بحسب السيناريوهات والمآلات التي يمكن أنّ تتطور باتجاهها هذه الحرب

انتصار عسكري وليس سياسي

السيناريو المرجح حالياً هو التقدم العسكري لروسيا، بمعنى أنّ "تنتصر روسيا على أوكرانيا ولكن ليس على الغرب"، وقد لا يصح وصف هذا السيناريو بالانتصار، لأنه سيعني أنّ روسيا لم تحقق أهدافها من الحرب، وقد تكون بدلاً من ذلك وقعت في الفخ الغربي عبر تورطها في حرب استنزاف، وهذا ما يفسر تصريحات القادة الغربيين أنّ هذه الحرب التي بدأتها روسيا اليوم في أوكرانيا لن تتوقف ببساطة أو بوقت قريب، بل من الوارد أن لا تتوقف روسيا عند أوكرانيا وأنْ توسع دائرة الدول التي ستجتاحها إلى دولٍ أخرى مثل بولندا أو رومانيا، طالما أنّ نصرها في أوكرانيا لم يحقق الأهداف التي بدأت هذه الحرب من أجلها، تعزز هذا السيناريو عدة عوامل تمنع من حسم الصراع في أوكرانيا بسهولة أهمها:

- الموقف الصيني الذي لم يؤيد الروس في حربهم ضد أوكرانيا رغم أنّ بكين أيدت الشهر الماضي (كانون الثاني/يناير 2022) المخاوف الأمنية لبوتين بشأن توسع حلف الناتو، ويبدو أنها الآن تحاول النأي عن حرب روسيا، بدا ذلك جلياً في خطاب الصين في مؤتمر ميونخ (19 شباط/فبراير 2020)، عندما تحدثت عن احترام سيادة الدول وحدودها وقالت إنها ضد الحرب ودعت إلى حل المشاكل العالقة بين روسيا والغرب بالحوار، واكتفت بالامتناع عن التصويت على قرارٍ يدين الغزو الروسي لأوكرانيا في جلسة مجلس الأمن الدولي في 25 شباط/فبراير 2022، -كما فعلت الهند والإمارات-، بينما اضطرت روسيا لاستخدام حق الفيتو لمنع تمرير القرار.
- جدية ووحدة الموقف الأوروبي والولايات المتحدة والإجراءات غير المسبوقة (العقوبات، التسليح، فتح المجال للمتطوعين، حظر الطيران ..الخ)، التي يتخذها المعسكر الغربي ضد روسيا، علماً أنّ الإجراءات المتخذة ضد روسيا والدعم المقدم لأوكرانيا ما زال قاصراً عن ردع الروس عن الحرب، والأثر الإعلامي والنفسي لهذه الإجراءات أكبر بكثير من الأثر الفعلي على روسيا واقتصادها حتى الآن، ولكن من المهم على المدى البعيد الالتفات إلى موقف ألمانيا ودورها، الذي يجب أن يُنظر له بعناية كبيرة، إذ تشكل الحرب الأوكرانية اليوم نقطة إعلان التحرر بالنسبة لألمانيا من تحجيم القوة العسكرية الذي فُرض عليها بعد الحرب العالمية الثانية وتحول مع الوقت إلى سياسة عسكرية ألمانية داخلية لم تُخرق حتى الأسبوع الماضي على وقع انطلاق عمليات الغزو الروسي لأوكرانيا، وعلى أثر النقد الشديد الداخلي والخارجي الذي تلقته القيادة الألمانية بسبب ضآلة مشاركتها العسكرية وتنامي الشعور الداخلي في البلاد بوجود مشاكل كبيرة تتعلق بالقدرات التي تمتلكها القوات المسلحة الألمانية، والتي ظهرت لدى محاولتها المشاركة في تعزيز وحدات حلف الناتو في بحر شرق أوروبا، فاقتصرت هذه المشاركة على إرسال 3 مقاتلات إلى رومانيا شباط/فبراير 2022، مع التجهيز لإرسال 3 مقاتلات أخرى بحلول منتصف آذار/فبراير 2022، ومشاركة محدودة للقوات البرية الألمانية في ليتوانيا، وفي الوقت الذي تبحث فيه برلين كيفية تقديم مساهمة أكبر في وحدات حلف الناتو المتمركزة في خط الدفاع الأول أمام روسيا "البلطيق - البحر الأسود"، فقد اقتصرت المساعدات العسكرية المقدمة من برلين لكييف، على إرسال 5 آلاف خوذة واقية إلى القوات الأوكرانية، ما أثار ردود

فعل غاضبة جداً خاصة إذا ما قورن هذا الدعم مع ما تُعلن عنه دول مثل بريطانيا وإستونيا وليتوانيا، على أثر هذا كله أعلن المستشار الألماني أولاف شولتز تخصيص 100 مليار يورو لتسليح الجيش الألماني، وهو تحول نوعي ومنعطف لافت في السياسة الألمانية المتبعة منذ الحرب العالمية الثانية، رافق هذه الخطوة رفع مخصصات الإنفاق الدفاعي إلى 2٪ من إجمالي الناتج المحلي الألماني وهو ما يجعل ألمانيا ثالث أكبر منفق دفاعي في العالم بعد الولايات المتحدة(770 مليار دولار)، ثم الصين(254 مليار دولار)، ثم ألمانيا(85 مليار دولار) ثم روسيا(61 مليار دولار).

- صمود أوكرانيا في وجه الغزو الروسي -حتى الآن-، فلم نلحظ انشقاق مسؤول حكومي واحد داخل أوكرانيا أو خارجها، كما يبدو أنّ قيادة أوكرانيا نجحت في حشد الشعب الأوكراني خلفها، وإقناع العالم بالوقوف إلى جانبها بعد أن أثبتت نيتها المقاومة على المستويين الرسمي والشعبي وأنها لن تترك أوكرانيا لقمة سهلة لبوتين، علماً أنّ استراتيجية الغرب حتى الآن ترمي إلى مقاتلة روسيا بدم الأوكرانيين عبر توفير التمويل والسلاح والتدريب، فالذي يقاتل ويُقتل هو الأوكراني وهذا قد يكون مفيداً في تعطيل التقدم الروسي في البداية ولكنه قد يكون بوابة حرب طويلة وخسائر بشرية أوكرانية كبيرة جداً فيما بعد، وبقدر ما حاول الروس في الأيام القليلة الماضية إظهار نوع من ضبط النفس في عملياتهم العسكرية وتجنب وقوع المدنيين والمجازر فقد بدأ الروس مؤخراً برفع وتيرة وطبيعة الأهداف وحجم الدمار وبدأت أعداد الضحايا المدنيين ترتفع بسرعة.

انتصار روسي حقيقي

سيناريو الانتصار الروسي في حربها وتمكنها من فرض إرادتها وشروطها على الغرب في ما يخص رؤيتها الأمنية والجيوسياسية قد يبدو بعيداً جداً، فبالإضافة إلى الأسباب الثلاثة في السيناريو الأول، يقلل من احتمالية هذا السيناريو ضعف جبهة روسيا، فبينما تواجه روسيا حلف الناتو المكون من 30 دولة، تدخل روسيا هذه الحرب وحدها دون حلفاء فعليين سوى بيلاروسيا ودولٍ وكيانات تابعة لروسيا صغيرة موزعة في أنحاء مختلفة (مثل النظام في سوريا)، هي في معظمها مصدر استنزاف لروسيا أكثر من كونها مصدر دعم، وحتى على الصعيد السياسي لم تجد روسيا من يصوت لصالحها مثلاً في مجلس الأمن أو من يؤيد تحركاتها على الصعيد السياسي العام، وبالرغم من الكم الهائل نسبياً من الأصول العسكرية الروسية التي زُج بها في هذه المعركة سواء على مستوى الحشد أو على مستوى المشاركة الفعلية في المعارك فإن روسيا فيما يبدو أبعد ما تكون عن فرض شروطها على الغرب وتحديداً على الولايات المتحدة التي تعيش اليوم واحدة من أفضل تموضعاتها منذ الحرب العالمية الثانية:

- فقد نجحت ولأول مرة ليس فقط بتحييد أوروبا كاملة عن روسيا بل وفي تمكنها أخيراً من رصفها مجتمعة في مواجهة مباشرة مع الروس وخصوصاً ألمانيا التي تتابع الولايات المتحدة بتوجس توطد علاقاتها مع روسيا منذ أكثر من 15 عاماً، عندما نشأ تعاون اقتصادي متين بين روسيا وألمانيا على يد ميركل، وتَعزّزَ بتعاون واسع في مجال الغاز والطاقة في 2016.
- كما أنّ الولايات المتحدة اليوم أقرب ما تكون للإيقاع بروسيا في حرب استنزاف -إن لم تكن قد أوقعت بها بالفعل- تعيد روسيا إلى أجواء سبعينات وثمانينات القرن الماضي في أفغانستان

ولكن بنكهة أوروبية هذه المرة، حيث يجري الحديث اليوم عن جيش متطوعين ومقاومة شعبية ومضادات طائرات على نمط "ستينغر" -الذي لاسمه وقعٌ خاص في آذان الروس- ومضادات دروع، وسط عقوبات وعزلة سياسية واقتصادية ودعاية إعلامية واسعة تعيد رسم صورة روسيا كعدو ليس فقط لأوروبا بل لكل الإنسانية، ومما يعزز نظرية تورط روسيا المعطيات التي تؤكد أنّ الولايات المتحدة كان بإمكانها تجنيب أوكرانيا الحرب عبر ضمها للدول المحايدة في أوروبا أو عبر الموافقة على منح روسيا ضمانات بخصوص أوكرانيا، ولكنها فعلت العكس تماماً وهي تعلم ماذا يعني ذلك.

- أيضاً الولايات المتحدة قد تكون اليوم على أعتاب مصادرة حصة روسيا من سوق الغاز الأوروبية وهذا مجال تنافس أمريكي إيراني حالياً، فمنذ فترة يقدم كل منهما نفسه كمزود بديل للطاقة في أوروبا، ويبرز اسم الجزائر في هذه المنافسة أيضاً.

إنكسار روسيا وتراجعها

أما سيناريو خسارة روسيا وتراجعها عسكرياً، فهو احتمال ضئيل رغم كل ما سبق، لأسباب كثيرة، من أهمها أنّ روسيا في النهاية دولة نووية، ويُنظر لتلويحها باستخدام السلاح النووي، بقدر كبير من الجدية، وإن كان التلويح الروسي بالقوة النووية في معرض الرد على الموقف الغربي شكل دليل ضعف وليس قوة، إلا أنّ التراجع العسكري الروسي وخسارة بوتين -إن وقعت- في أوكرانيا فستضعف وضعه الداخلي كثيراً وقد تعني إزاحته عن السلطة وربما انهيار المنظومة التي أنشأها هو وأتباعه، وفي مثل هذا الموقف اليائس فإن استخدام الأسلحة النووية وإن لم يكن الاحتمال الأكبر ولكنه أمر وارد في العقيدة البوتينية[3].

المساحات التي تسيطر عليها روسيا في أوكرانيا

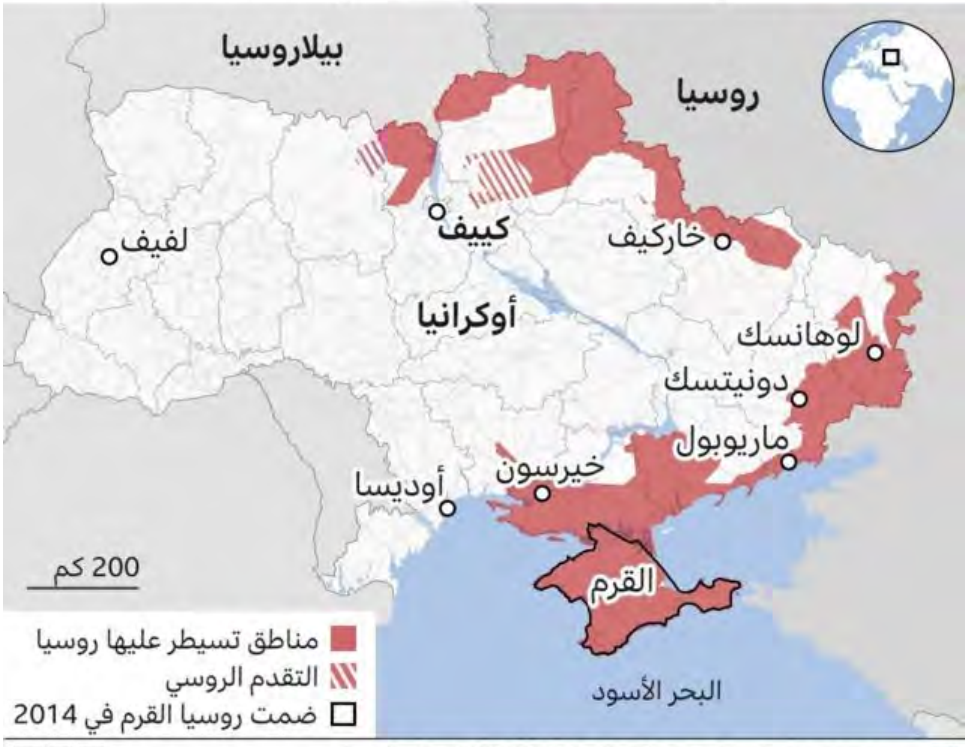

المصدر: معهد دراسات الحروب (في الساعة 23:00غ في 2 مارس)

[3] Atomic Bluff? Why Putin Placed Russia's Nuclear Forces on High Alert - 19FortyFive

من يستفيد من تراجع روسيا في سوريا ؟

بحسب المعطيات الحالية على الأرض السورية، فإن المستفيد الأكثر احتمالاً من أي تراجع أو فراغ روسي في سوريا حالياً هو إيران لأسباب عديدة في مقدمتها:

- وضع المعارضة السورية الحالي -خصوصاً الشق السياسي الرسمي منها- غير المؤهل ليقطف ثمار هكذا وضع معقد أو أنّ يستثمر فيه،
- والاتفاقيات الثنائية والثلاثية لما يُعرف بالدول الضامنة (آستانا وسوتشي وملحقاتها) التي صنعت حالة من العزل بين ما يجري في مناطق النظام من جهة ومناطق المعارضة من جهة أخرى، (حالة السويداء مثالاً)،

وقد بدأ النظام بالفعل تواصلات وزيارات إلى إيران على المستوى الأمني(مملوك) والسياسي(المقداد) وأعلن صراحة أنّ أجندة اجتماعاتهم تدور حول الأزمة الأوكرانية وتبعاتها، كما استقبل بشار الأسد مسؤولين إيرانيين وعراقيين من الحشد الشعبي، فيما يمكن اعتباره تحركاً مبكراً من طرف النظام باتجاه إيران لتدارك أي أثر سلبي على المستوى العسكري أو الاقتصادي يمكن أنّ يلحق به جراء ما تعانيه روسيا، وهذا بطبيعة الحال سيعني رفع مستوى الحضور الإيراني في سوريا.

وعلى مستوى أعم فإن إيران من المحتمل أنّ تكون أيضاً مستفيداً أساسياً من القطيعة الروسية الأوروبية وقد سبق وقدمت نفسها منذ فترة كمزود بديل للطاقة، وبينما نشهد هذه الأيام تشديد العقوبات على روسيا وتضييق الخناق عليها، فإن إيران تخطو نحو تجاوزها وقد تكون على عتبة تفاديها إذا وافقت على التخلي أو تخفيف اندفاعها على الأقل في مشاريع وأنشطة معينة (مثل الحوثيين الذين شملهم قرار حظر بيع الأسلحة في مجلس الأمن مؤخراً، والتهديد الإيراني لإسرائيل من سوريا والعراق الذي يعد عقبة أساسية أمام تسوية كبيرة بين الغرب وإيران)، وفي هذا السياق فقد أعلنت إيران مؤخراً (عبر مرشدها) معارضتها للحرب في أوكرانيا ونددت بقتل الأبرياء، ولكنها حمّلت الولايات المتحدة والغرب مسؤولية التصعيد في أوكرانيا وهذا موقف مختلف عن موقف النظام في سوريا ودول أخرى تابعة أو صديقة لروسيا ولكنه مشابه إلى حد كبير للموقف الرسمي لكوريا الشمالية وقريب أيضاً من موقف الصين التي حملت المسؤولية لكل الأطراف ولكنها عارضت الحرب، علماً أنّ أوروبا لو قررت فعلاً الانفتاح على إيران في مجال الطاقة فهذا سيعزز من ثانوية الملف السوري ضمن قضايا أخرى، ويزيد من تهميشه على قائمة الأجندة الدولية، مما يسمح بإطلاق يد إيران بشكل أكبر في سوريا ولكن ليس على حساب الأمن القومي للكيان الإسرائيلي أو مصالح الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة.

آثار مباشرة قريبة

بالعودة لسوريا وبشكل أكثر تفصيلاً فإن الوضع الاقتصادي السيء لروسيا سينعكس بدرجة ما على سوريا خصوصاً مع ارتفاع أسعار الذهب والغاز والنفط والقمح وغيرها من الأساسيات، ويمكن الحديث حالياً عن تبعات معينة مثل إمدادات النظام من القمح والعديد من المواد الأخرى الأساسية التي ستعاني حتى يُصار إلى ترتيب ما من طرف إيران أو غيرها من الجهات أو الدول التي يمكن أنّ تتعاون مع النظام، والأمر نفسه بالنسبة لمناطق سيطرة المعارضة التي تعاني حالياً من أزمة حادة في مادة السكر مثلاً ولا يستبعد أنّ تتأثر أساسيات أخرى غذائية أو صناعية بالحرب الأوكرانية، مع فارق أنّ مناطق سيطرة المعارضة بشكل عام تعتمد في حل هذا النوع من مشاكلها على تركيا التي حافظت فيما يبدو حتى الآن على موقف متوازن من الغزو الروسي لأوكرانيا وتتحضر للعب دور دبلوماسي محوري[4] (بالتنافس مع إسرائيل التي رفض الروس دورها كوسيط والإمارات التي تتوقع أنّ يتم طرح اسمها غربياً غالباً مقابل دور تلعبه في ترتيبات ما بعد الحرب)، بينما يعتمد النظام على الحلول البديلة التي يمكن أنّ تقدمها روسيا أو إيران، ولن يكون مفاجئاً أنّ تبادر دول عربية لتقديم يد العون لتحقيق اختراق معين في علاقتها مع النظام يساعدها على لعب دور أكبر في الملف السوري وبعض القضايا المتعلقة به حالياً أو مستقبلاً.

أيضاً من التبعات المهمة التي يجب ملاحظتها أنّ الأساليب المعتادة لدى النظام للالتفاف على العقوبات أغلبها تعتمد بشكل أو بآخر على شراكات وتعاون روسي رسمي وغير رسمي أو مع دول وجهات صديقة أو تتبع لروسيا، وبالتالي فكلها مهددة الآن وكثير منها ربما فقد فاعليته بسبب العقوبات والتضييق الغربي الشديد، وهذا سبب إضافي لتوجه النظام إلى إيران هذه الفترة.

وفي نفس السياق المتعلق بالآثار المباشرة القريبة على سوريا وعلى وضع النظام تحديداً فإن العديد من مشاريع فك الحصار عن النظام والتطبيع معه بشكل مباشر أو غير مباشر غالباً أصبحت بحكم المجمدة أو حتى الملغية إما بسبب العقوبات الجديدة على روسيا وإما بسبب توجه الأنظار للغزو الروسي لأوكرانيا وانتظار ما سيسفر عنه، من الأمثلة المهمة على هذه المشاريع مشروع خط الغاز العربي الذي كان النظام وحلفاؤه في لبنان يأملون بأنّ يخفف الحصار عنهم وأنّ يهيئ الظروف للانفتاح عليه، الآن هذا المشروع مهدد أكثر من أي وقت مضى لأنّ خط الغاز في داخل الأراضي السورية أنشأته وتديره وتشرف عليه شركة الغاز الروسية "غازبروم"[5] والتي أصبحت مشمولة بالعقوبات وسحبت الدول الأوروبية شراكاتها واستثماراتها منها، والأمر نفسه لشركات الشحن والتحويلات المالية وغيرها.

أيضاً موقف النظام الصريح والحادّ إلى جانب روسيا ضد الغرب وتصريح مسؤولين لدى النظام بأنّ النظام سيدعم روسيا وهو ما ترجمته الأوساط السياسية إلى أنّ النظام قد يكون في معرض إرسال مرتزقة ومتطوعين للقتال إلى جانب روسيا، هذا الموقف يعمق ولاشك علاقة النظام بروسيا ولكنه يستفز الولايات المتحدة والأوروبيين وبالتالي فإن موقف الولايات المتحدة من دعوات ومشاريع الانفتاح على النظام من المفترض أنّ يصبح أكثر صرامة، وخصوصاً مواقف الدول العربية الحليفة للولايات المتحدة التي تسعى لعودة النظام إلى الجامعة العربية، وربما يتطور الموقف الغربي إلى أكثر من مجرد وقف عمليات التطبيع مع النظام، إلى اتخاذ إجراءات أكثر جدية، على نمط تلك الإجراءات التي تتخذ اليوم ضد روسيا وتقديم دعم للمعارضة من نوعية وحجم الدعم الذي يقدم إلى أوكرانيا، وإن كان

[4] لماذا تنشط الدبلوماسية التركية في الأزمة الروسية – الأوكرانية ؟ idrak - إدراك
[5] "خط الغاز العربي".. مليارات تهددها التفجيرات (خريطة) - عنب بلدي

هذا يقع في إطار تأجيج الوضع في سوريا واستخدامها لتصفية حسابات متعلقة بصراعات ضخمة، وهو ما لا تحبذه تركيا أو الفاعلون الإقليميون في الشرق الأوسط بسبب التبعات القاسية التي عانوا منها جميعاً خلال السنوات الماضية، وبالتالي فحتى لو قرر الغرب تطوير موقفه من سوريا والإجراءات التي يتخذها بخصوص هذه القضية فمن المستبعد أنّ تخرج حالياً عن: "تعزيز الحالة الدفاعية للمعارضة وقدرتها على الصمود أمام النظام وحلفائه، وقطع الأمل على النظام بتحسين وضعه"، وهو أمر إيجابي ويتطابق مع خطة "تثبيت الوضع الراهن" التي هي مطلب إسرائيلي وتوجه أمريكي واستراتيجية تركية ومصلحة روسية[6]، إلا لو أصرت روسيا على مواصلة تحدي العقوبات الغربية واستمرت في محاولة فرض شروطها على الغرب وقامت بخطوات أكثر رعونة كمواصلة عملياتها العسكرية إلى خارج أوكرانيا مثلاً أو غيرها من أشكال التصعيد، فلا يستبعد حينها أنّ تتوجه الأنظار إلى سوريا إلى جانب مناطق احتكاك محتملة أخرى كثيرة حول العالم، بحيث يتم تقويض الوضع القائم فيها بما يشكل حالة ضغط أو استنزاف إضافي لروسيا وحلفائها، والسؤال المهم هنا:

كيف يمكن للمعارضة أنّ تستثمر في هذا الوضع سواء في المرحلة الحالية أو المرحلة التالية (مرحلة التصعيد ما بعد أوكرانيا)، وأنّ لا تكرر ما حصل في تجربة داعش مثلاً، وأنّ تنافس الإدارة الذاتية - قسد(الحليف الغربي الموثوق) للاستثمار في هذا الوضع دون أنْ تصبح المعارضة من الخندق الأمريكي، ودون أن تعرض مناطقها لحملات انتقام من طرف النظام وحلفائه تودي بعدد كبير من الضحايا وتحطم البنى الإدارية والتحتية التي بالكاد تبلورت مؤخراً ؟

[6] روسيا في الشرق الأوسط: تحديات الأمن القومي للولايات المتحدة وإسرائيل في عصر بايدن idrak - إدراك

آثار استراتيجية محتملة

الروس سيكونون أكثر عناداً

مع تطور الأحداث بالنسبة للروس على المستوى العالمي وحاجتها لإظهار الاصطفاف لم يتوانَ الروس في إظهار تعاملهم مع سوريا على أنها امتداد الأمن القومي الروسي بما في ذلك بعده الجغرافي مثلها مثل بيلاروسيا وشرق أوكرانيا، ووسط آسيا، وقد لاحظنا مؤشرات في هذا الاتجاه مثل زيارة وزير الدفاع الروسي لقاعدة حميميم في سوريا قبيل الغزو بأيام قليلة والبث من اللاذقية عبر محطات "روسيا اليوم" الى جانب مناطق النفوذ الروسي الأخرى حول العالم عند الإعلان عن بدء الغزو الروسي لأوكرانيا، والاتصال بين بوتين وبشار الأسد بعد بدء الغزو.

هذه النظرة من طرف روسيا لسوريا، والضغط الذي يمارس على روسيا اليوم من طرف الغرب وسط العزلة السياسية التي تعيشها نسبياً، سيجعلها أكثر تمسكاً بمكاسبها في سوريا وأقل مرونة تجاه أي حل سياسي[7]، وسيحتم على الجماعات والكيانات السورية (قسد، المعارضة التي تعيش في كنف النظام، المعارضة السورية ..الخ) أنّ تصطف بوضوح إلى جانب أحد أطراف هذه الحرب، وهذه الاصطفافات قد لا يكون من السهل معايرتها لبعض هذه المجموعات مثل قسد التي تعتبر حليفاً للولايات المتحدة بينما PKK التنظيم الأوسع والذي يعتبر الأب الروحي لهذه الميليشيات يقف إلى جانب روسيا.

كل هذا من شأنه أنّ يقلل من احتمالية التوصل لحل سياسي توافقي في سوريا، وسيصر كل من الروس وباقي الأطراف على رؤيتهم للحل، وهذا أيضاً يرجح مآل "تثبيت الوضع الراهن"، ريثما يمتلك طرف ما في هذه المعادلة الأدوات والإرادة للضغط باتجاه الخروج من الوضع الحالي إلى شيء آخر لصالح هذا الطرف أو ذاك.

وهنا ربما من المهم التفريق بين عناد الروس في المضي بحل سياسي حقيقي وعملي في سوريا -وهو ما نتوقع أن يكون الروس أكثر عناداً بصدده-، وبين استعدادهم للقيام بحملات عسكرية ومحاولة استعادة سيطرة النظام على مناطق المعارضة في سوريا، وهو ما يعتمد كثيراً على توازنات وحسابات العلاقة مع تركيا.

الإسرائيليون في موقف صعب

تبعات الحرب الأوكرانية على العلاقات الروسية الإسرائيلية على المدى البعيد، يُتوقع أن تنعكس بشكل مباشر على سوريا حيث تنفذ إسرائيل عمليات عسكرية ضد أهداف إيرانية على مرأى الروس وعلى بُعد بضعة كيلومترات من قواعدهم أحياناً، تتلخص معضلة إسرائيل بأنها منحازة بشكل صريح لجانب الغرب ولكنها في نفس الوقت بحاجة للحفاظ على حد معين من العلاقة والتنسيق مع روسيا، لأن توتر علاقاتها مع روسيا سينعكس سلباً على كثيرٍ من القضايا التي تهمها ومنها قواعد الاشتباك في سوريا التي تسعى جاهدة للحفاظ عليها بما يسمح لها بتوجيه الضربات بحرية، وبالفعل فقد بدأت روسيا بالتلويح بموقف مختلف من إسرائيل بعد صدور بيان إسرائيلي رسمي يدعم "وحدة أراضي وسيادة أوكرانيا" في 23 شباط/فبراير 2022 رغم أنّه لم يُشرْ صراحة إلى روسيا، ولكن روسيا قابلته بإعلان عدم اعترافها بالاحتلال الإسرائيلي لمرتفعات الجولان وأنها جزء لا يتجزأ من الأراضي السورية، مما دفع

[7] حروب روسيا الأبدية: سوريا والسعي وراء مكانة القوة العظمى idrak - إدراك

إسرائيل في اليوم التالي (24 شباط/فبراير 2022) لإصدار بيانٍ تدين فيه التدخل العسكري الروسي في أوكرانيا، وتعتبره انتهاكا خطيراً للنظام الدولي[8]، لاحقاً في (27 شباط/فبراير 2022) بادر رئيس الوزراء الإسرائيلي "نفتالي بينيت" إلى الاتصال هاتفياً ببوتين عرض خلالها وساطة إسرائيلية لتعليق الأعمال العدائية في أوكرانيا ولكن بوتين رفض الوساطة الإسرائيلية رغم أنها جاءت بناءً على طلب وجهه الرئيس الأوكراني للإسرائيليين[9].

وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ إسرائيل كانت قد تنبأت بتصاعد المواجهة بين روسيا والغرب منذ فترة واقترحت هي والولايات المتحدة تجنيب الوضع في سوريا تبعات التصعيد العالمي والحفاظ على الترتيبات القائمة حالياً عبر استراتيجية تثبيت الوضع الراهن - التي أشرنا إليها مراراً في هذه الورقة- في مقابل الإقرار بعلاقة ندية روسية أمريكية على مستوى الحالة السورية وهذا من شأنه أنّ يعزز مكانة روسيا في سوريا ويقوي موقفها أمام الفواعل الآخرين وفي نفس الوقت يحفظ مصالح الولايات المتحدة وحلفائها[10]، ومن جانب آخر تهتم إسرائيل بتأمين وضع من تعتبرهم رعاياها في أوكرانيا والذين يصل عددهم إلى 300 ألف بحسب تحليل نشره (Foreign Affairs)، في هذا الوضع المعقد ربما لا تملك إسرائيل إلا التريث في اتخاذ موقف أكثر حدّة ريثما تتبلور العقوبات على روسيا لدرجة يصبح فيها الموقف الإسرائيلي تحصيل حاصل لمواقف الأطراف الأخرى، علماً أنّ هناك انتقاداً ملحوظاً من طرف الساسة الأمريكيين للموقف الإسرائيلي.

حسابات متضاربة للفاعل العربي (الإمارات والسعودية والجزائر والعراق)

أما على صعيد الشرق الأوسط والصعيد العربي تحديداً يبرز موقفان مهمان قد يكون لطريقة تفاعلهما مع هذه الأزمة أثرُ معين على الشرق الأوسط وعلى الحالة السورية بشكل خاص هما السعودية والإمارات

حرصت الإمارات على عدم الاصطفاف بشكل كبير إلى جانب الغربيين بل وكانت من الدول القليلة التي امتنعت عن التصويت لصالح قرار يدين روسيا إلى جانب الصين والهند، وهو ما يشي بتطلعها للعب دور دبلوماسي في الأزمة بين الروس والغرب كما يشي بوجود مصالح مهمة تربطها بالمعسكر الروسي وتريد الحفاظ عليها.

أما السعودية فتشهد علاقاتها التاريخية مع الولايات المتحدة اضطراباً ملحوظاً منذ قدوم بايدن إلى السلطة، وتصاعدت حدة العلاقة بين الطرفين مؤخراً على أثر رفض السعودية زيادة كمية إنتاج النفط وصولاً إلى اضطرار بايدن لإرسال مبعوثين للضغط على المملكة لضخ المزيد من النفط قبيل الغزو الروسي لأوكرانيا بأيام، ولكن السعوديين بقوا متمسكين بموقفهم الرافض لأي تغييرات في الإنتاج[11]، ثم وبعد الغزو وبالرغم من الضغوط الكبيرة من الغربيين فقد أعاد مجلس الوزراء السعودي، برئاسة الملك سلمان بن عبد العزيز، في 1 آذار/مارس 2022، التأكيد على التزامه باتفاقية أوبك+ وهي اتفاقية أبرمها 10 من كبار منتجي النفط الخام وروسيا لضخ المزيد من النفط تدريجياً في السوق لتلبية الطلب.

[8] هآرتس: روسيا تنتقد الاحتلال الإسرائيلي للجولان

[9] بوتين يرفض وساطة إسرائيل في حل الأزمة الأوكرانية - 27.02.2022, سبوتنيك عربي

[10] التعامل مع روسيا من خلال سوريا: إدارة الصراع الجانبي والمصالح الضيقة idrak - إدراك

[11] مسؤول أمريكي لـCNN: بايدن أرسل مسؤولين إلى السعودية للضغط من أجل مزيد من النفط - CNN Arabic

أما الجزائر التي تربطها شراكة عسكرية مع روسيا وعلاقات تجارية مع أوروبا وتتحمس منذ فترة لتطبيع العلاقات مع النظام وعودته إلى الجامعة العربية، فقد تجنبت اتخاذ موقف أو إصدار أي تعليق سياسي على الغزو الروسي لأوكرانيا، خصوصاً وأنها قد تستفيد من تداعيات الحرب من خلال إمكانية تدفق الغاز الجزائري إلى أوروبا، تعويضاً عن الغاز الروسي، وهو ما دفع وزير الخارجية الإيطالي إلى زيارة الجزائر، لطلب زيادة الإمدادات، وليس هناك ما يشير في المرحلة الحالية من الصراع في أوكرانيا إلى تغير في الموقف الجزائري من الوضع في سوريا لا على المستوى القريب ولا البعيد.

العراق تربطه علاقات ومصالح متشابكة مع الولايات المتحدة التي تتواجد قواعدها على أرضه، ولكنه يستورد أغلب احتياجاته من القمح من أوكرانيا وروسيا، وأبرم مؤخراً صفقات تعاون في المجال العسكري مع روسيا، وتستثمر شركات الطاقة الروسية واسعاً في حقول الطاقة لديه[12]، الموقف الرسمي للعراق من الأزمة الأوكرانية أقرب إلى الموقف الإيراني منه إلى موقف النظام في سوريا، فقد كان من بين الدول التي امتنعت عن التصويت في الأمم المتحدة ضد روسيا، وهو ما يرجح الرغبة الرسمية للنأي عن تبعات الصراع، ولكن ذلك لم يمنع صالح الفياض رئيس "هيئة الحشد الشعبي"، من اللقاء ببشار الأسد لمناقشة أهمية ضبط الحدود المشتركة بين العراق وسوريا، ومحاربة التنظيمات "الإرهابية"، وهو ما يعزز التوقع بضعف القبضة العسكرية للنظام بسبب تراجع أو انشغال روسي عن سوريا، وتبعه إجراء مباحثات هاتفية بين رئيس وزراء النظام السوري حسين عرنوس ونظيره العراقي مصطفى الكاظمي تناولت سبل تعزيز التعاون المشترك في مختلف مجالات النشاط الاقتصادي الزراعي والصناعي والخدمي، في كل الأحوال فإن الدور العراقي في المشهد السوري لا يمكن النظر له بشكل منفصل عن الدور الإيراني بل ولا يمكن اعتباره إلا امتداداً له، وهذا يعني أن دور الميليشيات العراقية في سوريا مرشح للتمدد من جديد -تحت العباءة الإيرانية- في حال كان هناك تراجع أو فراغ في الدور الروسي في سوريا.

[12] تمتلك شركة روسنفت الروسية 60٪ من خط أنابيب نفط كردستان العراق، وهو خط التصدير التشغيلي الرئيسي في العراق، كما أنها تقوم بإنشاء خط أنابيب جديد للغاز من المتوقع أن تصل طاقته التصديرية إلى 30 مليار متر مكعب من الغاز سنويا، كما تستثمر شركات لوك أويل، وغاز بروم، و روسنفت في حقول غرب القرنة/2 وبدرة وبلوك وبعض حقول كردستان العراق

خاتمة

بينما تتباين بشكل كبير التبعات المترتبة على المشهد السوري جراء الأزمة الأوكرانية بحسب السيناريوهات والمآلات التي ستنتهي إليها هذه الحرب، فإنّ معظم المعطيات في المرحلة الحالية من الحرب تشير إلى تحييد الوضع في سوريا نسبياً على الصعيد السياسي والعسكري عن الأزمة الأوكرانية، مع بقاء الاحتمالات مفتوحة على كل السيناريوهات في حال تطور النزاع بين روسيا والغرب إلى مستويات أخرى.

أما على الأصعدة الأخرى، مثل الحالة الاقتصادية والأمن الغذائي فسوريا تعاني منذ زمن من فقدان الأمن الغذائي وتدهور اقتصادي مهول، وقد بدأت آثار الحرب الدائرة في أوكرانيا تشكل عاملاً إضافياً يزيد من حجم هذه التدهور و ينبئ بكارثة غذائية ليست بالهينة(مثل انقطاع مادة السكر والقمح في الشمال السوري)، ومع اختلاف كل طرف من أطراف النزاع في سوريا في طريقة تعاطيه مع أزمة الغذاء ونقص المواد الأساسية الأخرى، فإن النظام في المرحلة الحالية قد يكون الطرف الأكثر تضرراً بسبب علاقته بروسيا و اصطفافه الحادّ إلى جانبها، وكونه مشمول أصلاً بعدد من العقوبات الأوروبية والأمريكية التي تضيّق خياراته لتجاوز تبعات الأزمة الأوكرانية.

والعامل الوحيد حالياً المرتبط بأوكرانيا ويفتح المجال أمام تصعيد في سوريا، هو مبالغة النظام في سوريا بإظهار اصطفافه إلى جانب روسيا في غزوها لأوكرانيا والتبجح بادعاء مشاركته في صناعة قرار الحرب الروسي بل والدور المحوري فيه، والتلويح بإرسال مقاتلين للقتال إلى جانب روسيا في أوكرانيا، والتصويت في مجلس الأمم المتحدة لصالح روسيا، هذا الموقف المستفز للغرب قد يترتب عليه تصعيد ضد النظام على المدى القريب يتلخص بمزيد من التضييق عليه ولكن غالباً ليس للدرجة التي تغير من معادلة الصراع في سوريا، طالما أنّ موقف النظام وتحركاته إلى جانب روسيا ليس لها وزن فعلي يؤثر على خطط ومصالح الغرب.

أما بالنسبة للمعارضة فلا يوجد الكثير مما يمكن أن تفعله بوضعها الحالي، أكثر من التصريح بموقفها المناوئ لروسيا في الحرب الأوكرانية، إذ لا يبدو -في هذه المرحلة على الأقل- أنّه من الممكن أن تمارس دوراً إضافياً إلا من خلال فاعل دولي وفي حالتها فالحليف الدولي لها هو تركيا، ولكن يمكنها -أي المعارضة السورية- أن تحاول الاستعداد أكثر للتعامل مع التبعات المستقبلية السلبية والإيجابية للأزمة الأوكرانية

ويعتبر سلوك تركيا في هذه الأزمة مهماً جداً في تقرير التبعات التي يمكن أنّ تظهر في سوريا على المدى القريب والبعيد حيث تحرص تركيا على موقف متوازن ودقيق في الأزمة الأوكرانية وهذا من شأنه أن لا يستفز الروس للتصعيد في سوريا في هذه المرحلة ويعزز حالة تجميد الوضع الراهن، وغالباً سيكون لموقف تركيا المتوازن والدور الذي ستلعبه في الأزمة الأوكرانية أثره في أي تفاهم مستقبلي بشأن مصير المناطق التي تشرف عليها تركيا في سوريا إن لم يكن الجغرافية السورية ككل.

أما إيران فيبدو أنها تتجهز لتطور جديد في علاقاتها مع الغرب مستفيدة من قطع العلاقات الأوروبية مع روسيا، وهذا التطور في العلاقات قد يفتح المجال أمامها -وأذرعها ووكلائها- لإعادة التمدد عسكرياً ومزيد من التغلغل الاقتصادي والاجتماعي في سوريا، مدفوعة بحاجة النظام إلى استدراك أي تراجع أو فراغ قد يتولد لديه نتيجة التضييق الذي تعاني منه روسيا في الفترة الحالية والمستقبلية ربما.

مركز إدراك للدراسات والاستشارات

مؤسسة دراسات واستشارات مستقلة، تأسست في سورية/حلب، عام 2014م، يُعنى المركز بالدراسات واستشراف المستقبل في منطقة الشرق الأوسط، ويعطي اهتماماً خاصاً بالقضية السورية، وتطورات الأحداث فيها، وكل ما يرتبط بذلك من أوضاع سورية وعربية ودولية.

يهتم المركز ببث الوعي محلياً وإقليمياً ودولياً حول واقع الأحداث في الشرق الأوسط وسورية على وجه الخصوص، ويحرص على إمداد أصحاب القرار والمعنيين بالمواد المعرفية بمختلف أشكالها التي تعينهم على اتخاذ القرار المناسب، وفي هذا الإطار فإن المركز يعتبر أن من مهماته الأساسية بناء قاعدة معلومات شاملة وفق الطرق والأساليب العلمية والتقنية الحديثة، ووضعها في خدمة الباحثين ومتخذي القرار.

يعمل المركز مع نخبة من العلماء والخبراء والمتخصصين لإصدار الدراسات والأبحاث العلمية والتقارير، ملتزماً بالمنهجية العلمية والموضوعية.

idraksy@idraksy.net www.idraksy.net